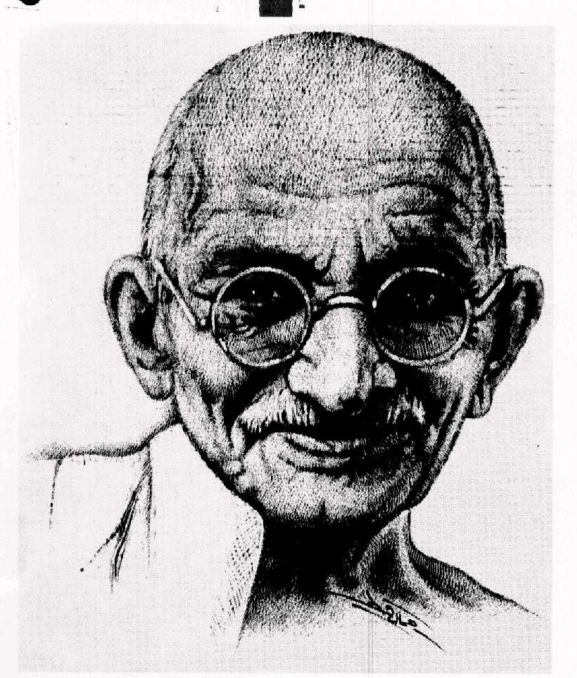
المعلومات المصورة للشباب

المهاتما غانـــدى

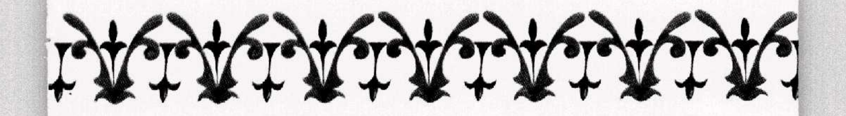


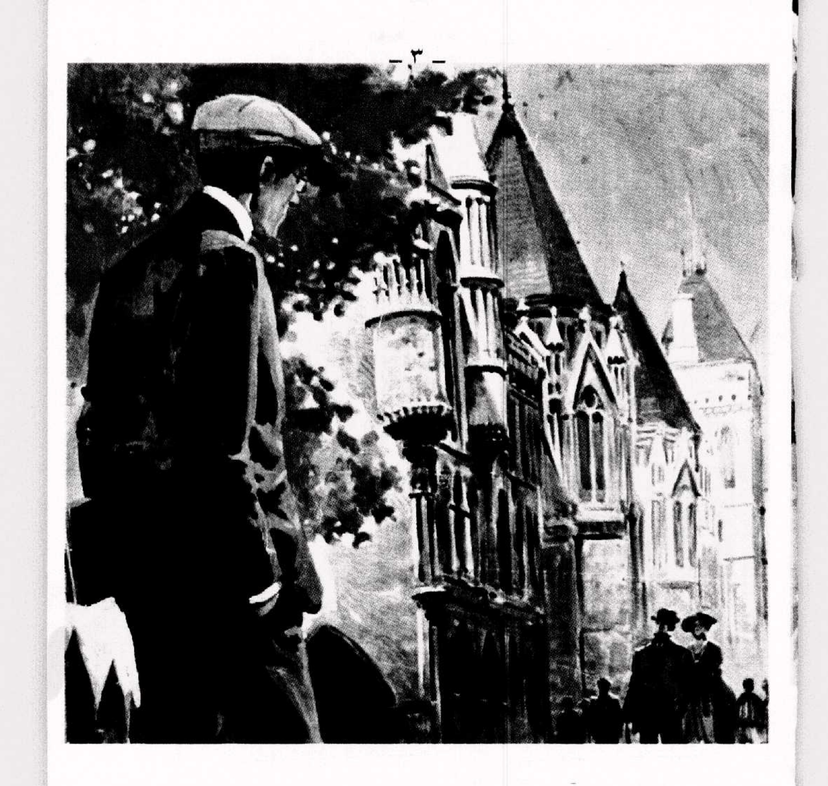
اللوحات والإعداد الفنى
جمال قطب

المادة العلمية
د . هبة جمال

في النصف الأول من القرن العشرين ، كان اسم المهاتما غـاندى مـلء الأسماع والأبصار بين شعوب العالم أجمع .. إنه البطـل الوطنـى الهنـدى الذى استطاع بزعامته الروحية وكفاحـه وجلده وثقافتـه ، أن يكـون مثلاً يحتذى به لمعنى الزعامة الحقة ، لا بـالجيوش والأساطيل ، ولكـن بالسلوك والتجرد والإرادة والصبر والإيمان بالمثل العليا ، بادئـا بنفسـه ليكون قدوة لغيره ، فى زمن كـان الاسـتعمار مهيمنا على مقـدرات معظم الشعوب المستضعفة .

- اسمه موهانداس كارامشاند غاندى Mohandas Karam chamd Gandhi ، ولد فى الثانى من أكتوبر عـام ١٨٦٩ فـى مدينـة «بوربـاندار» وهـى عاصمة لولاية صغيرة عمل والـده رئيسا لوزرائهـا . وتلقـى دراسـاته الأولى فى المدارس الهندية حتى بلغ الثامنة عشرة من عمره ، ثم سـافر إلى العاصمـة البريطانيـة « لنـدن » لدراسـة القـانون . وهكـذا أصبـح محاميا فى عام ١٨٩٣ ، وقد تعوّد منذ طفولته علـى نظـام صـارم فـى التغذية والرياضة ، حتى أنه ـ بالرغم مـن نحالـة عـوده ــ كـان يحظـى بحيوية وقوة بدنية مذهلة .





- وفور قيده فى هيئة المحامين ، رحل إلى جنوب أفريقيا عام ١٨٩٣ حيث عُين مستشارًا قانونيا لطائفة الهندوس هناك ، ولم يفاجأ بما يقاسيه الهنود وجميع الملوّنين تحت حكم البيض فى هذه الدولة الأفريقية .
- وذات يوم كان غاندى مكلفًا بمهمة قانونية للدفاع أمام المحكمة فى مدينة بريتوريا ، فاستقل القطار ، وقصد عربة الدرجة الأولى ليجلس فى مقعده ، ولكنه فوجئ برجل أبيض يأتى إليه ويعنفه ويطرده من مكانه .. ومن عربة الدرجة الأولى كلها .. وحين حاول غاندى أن يغضب ويرفض ، هدده باستدعاء الشرطة ليقودوه إلى السجن ! وطوال مدة إقامته فى جنوب أفريقيا عرف معنى الاضطهاد ، كما ذاق مرارة السجن والظلم والمعاناة ، وهذه الحادثة رغم تكرارها كل يوم وفى أى وقت ، إلا أنها كانت بداية الإصرار والعزم على الكفاح ضد العنصرية إلى آخر يوم فى حياته .
- وقد تمادت حكومة جنوب أفريقيا فى سياسة التفرقة العنصرية ، فسنّت تشريعات جديدة ، أصبحت معها حياة الهنود جحيما لا يطاق، فكيف يقابل غاندى هذا التعنت والقهر الذى تنتهجه الحكومة البيضاء ؟ لقد عزم على أن يكون سلاحه فى هذه المعركة سلاحا غير تقليدى هو الأدب والصبر مع الاحتمال ، والتحاور



بالحسنى وكسب الود حتى من الأعداء والمتسلطين !! وبالفعل ، نجحت هذه السياسة المهذبة حتى أتت ثمارها وأُلغيت هذه التشريعات الجائرة . وهكذا كانت تصرفات غاندى وسلوكياته إزاء أى حادثة أو مشكلة صغيرة أو كبيرة .

- وبصفته أحد رعايا الإمبراطورية البريطانية ، وبالرغم من كراهيته للحرب والعنف ، إلا أنه رأى من واجبه أن يكوّن فريقا من المتطوعين الهنود لمساعدة الإنجليز فى حروبهم المندلعة فى أنحاء كثيرة من العالم . ولكنه اضطر إلى العودة من جنوب أفريقيا إلى الهند لظروف صحية ـ وربما لضرورة وطنية ـ منتظرًا أن تنتهى الحرب العالمية الأولى ، ليبدأ كفاحه من أجل حصول الهند على استقلالها .
- والتف الشعب الهندى حول زعيمهم الذى أحبوه واتخذوه قدوة ورمزا لكفاحهم !
- وكان السلاح الذى شرعه غاندى فى وجه الإنجليز هو سلاح المقاطعة ؛ فدعا الشعب إلى عدم التعامل مع المستعمرين ومقاطعة كافة البضائع والمنتجات البريطانية .. وإزاء ذلك ، حكم على غاندى بالسجن عام ١٩٢٢ ـ بتهمة مسئوليته عن الخسائر الفادحة التى لحقت بالتجارة البريطانية .

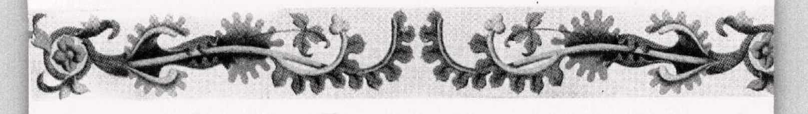




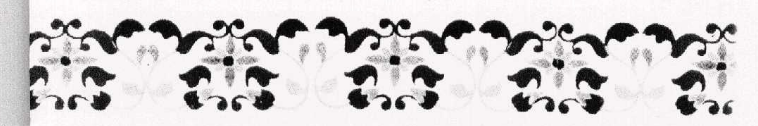
• وازدادت القوة الروحية الهائلة للزعيم الهندى المسالم فى نفوس الهنود بكافة طوائفهم ، حتى أنه فى عام ١٩٢٤ ، اقتتل الهندوس والمسلمون ، وكاد هذا الصراع أن يتحول إلى حرب أهلية رهيبة ، فلجأ غاندى إلى سلاح الاحتجاج الصامت تعبيرا عن استنكاره لهذه الخلافات ، وكان هذا السلاح هو الصيام « أو ما يسمى حاليا : الاضراب عن الطعام » ! وفى غضون أيام قليلة ، أسرع مندوبو الطائفتين إلى الزعيم لاسترضائه ، وتصالح الهندوس والمسلمون واتحدوا مرة أخرى .. وهكذا أصبح غاندى هو الزعيم السياسى الأعظم فى كافة أرجاء الهند . وأطلقوا عليه لقب « مهاتما » ومعناه الروح العظمى .



- احتار المؤرخون فى تقييم هذه الزعامة الشعبية الجبارة : إذا نادى .. يقول الجميع : لبيك ! ولو طلب منهم الصيام .. لصام الهنود كافة ؛ فى عام ١٩٣٠ رفعت الحكومة أسعار الملح بشكل حاد .. فهل يمكن الاستغناء عن الملح ؟! ولكن المهاتما دعا الناس إلى الكف عن شراء الملح .. ومن عجب أن شعب الهند عن بكرة أبيه ، استجاب فورا حتى خفضت الحكومة ثمنه إلى ما كان عليه .
- واستمر غاندى يحارب على جبهتين للوصول إلى هدفين : الأول هو الاستقلال السياسى ، والثانى هو الديمقراطية الحقيقية والمساواة بين الأفراد والطوائف المختلفة فى الحقوق والواجبات ، فليس هناك سادة وعبيد .. وليست السيطرة لطائفة أو لدين على آخر !
- وبذلك وضع غاندى نفسه فى معترك رهيب .. فكيف له أن يتخطى الحواجز الخطرة للطوائف والمعتقدات والأديان ؟!
- وصبر غاندى .. وصمم على السير فى هذا المسلك الوعر ، وأن يتحلى بالحب وأدب السلوك ، وأن يعمل على نشر الود بين مواطنيه، وبين الهند وشعوب العالم أجمع .. وكان يردد حكمته الشهيرة : «إن العنف هو الفشل فى الإقناع بالحقيقة والترفع عن الامتثال للحق » .

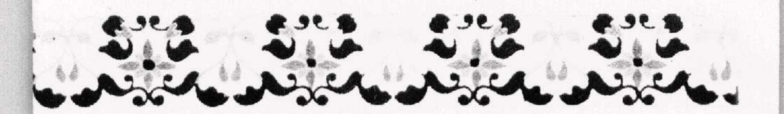


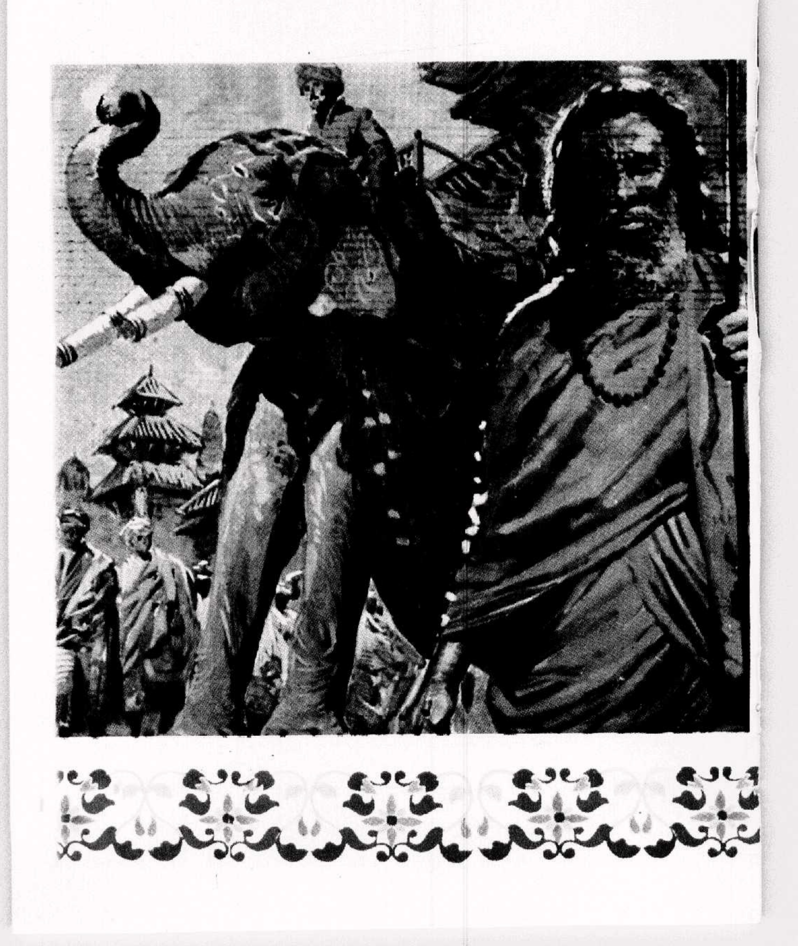


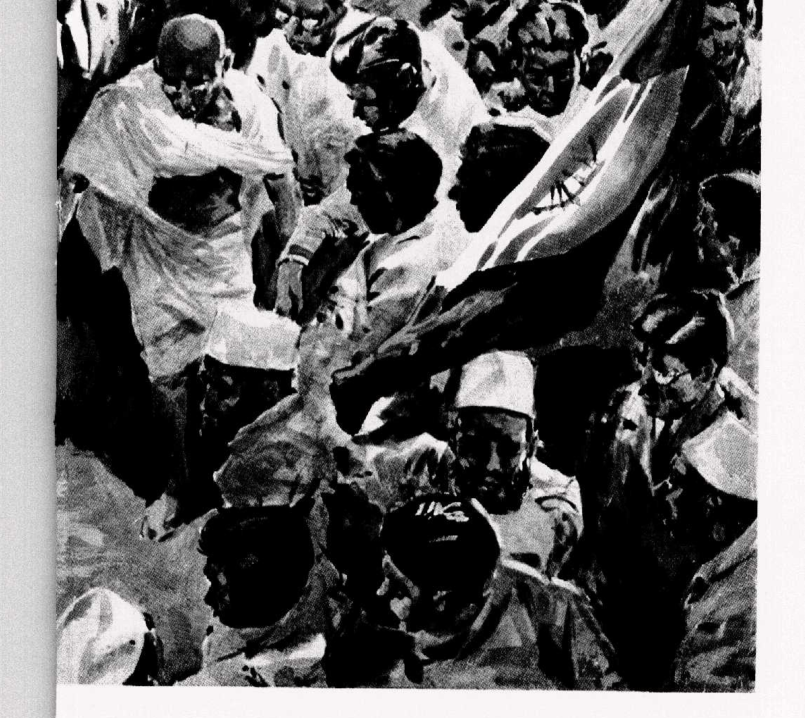


• واستمرت الحرب سجالا بينه وبين المستعمرين الإنجليز : هم مدججون بالسلاح والقوة والسلطة .. والمهاتما لا يملك غير مبادئه والاحتجاج بالصيام ! ويساق الزعيم إلى السجن مرات ومرات .. وفى كل مرة يضرب عن الطعام .. ويخشى المستعمرون أن يقضى نحبه فى السجن فتشتعل الثورة الشعبية كالبراكين .. ولم يجدوا بدًا من أن يطلقوا سراحه بعد أيام من سجنه !

• وظل كفاح الزعيم بدأب واستماتة وإيمان ، حتى حصلت الهند على استقلالها فى يوم ١٥ من أغسطس عام ١٩٤٧ .. وكم تمنى المهاتما أن تظل الهند على اتساعها دولة واحدة وأمة تتوحد فيها كافة شعوبها، ولكن الهندوس والمسلمين ، أراد كل منهما أن تكون له دولته الخاصة المستقلة .. فانفصلت الدولتان : دولة الهند « حيث يعيش الهندوس ، ودولة باكستان « حيث يعيش المسلمون » .







• وفى ٣٠ يناير ١٩٤٨ اغتاله رجل مفرط فى تعصبه للهندوسية لم يستطع أن يدرك مواقف الزعيم النبيلة بالنسبة للمسلمين الباقين فى الاتحاد الهندى ، واعتبره خائنا . واهتز العالم أجمع لهذا الحدث الجلل .. هذا العالم الذى طالما أعجب وتعجب من هذه الزعامة الأسطورية



الرائعة على شعب من أكبر شعوب الأرض عددًا ، ومن أكثرها عراقة ضاربة جذورها فى أعماق التاريخ ! ولكن غاندى سيظل رمزًا وطنيا مهيبا وقدوة يحتذى بها فى الزهد والتجرد والسماحة والسلام!

رقم الإيداع : ٥٢٢٣ / ٩٨
الترقيم الدولى : 0 - 1145 - 11 - 977

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقى - الفجالة